

## تواصلية التقليد المنطقي<sup>1</sup>

الدكتور سجّاد رضوي

ترجمة: الشيخ حسين السعلوك

الكلمات المفتاحية: سجّاد رضوي، حسين السعلوك، تواصلية التقليد المنطقي، خالد رويجب، الرويغب

.Relational Syllogisms and the History of Arabic Logic, 900-1900

يسود منذ القدم نقاش حول علم المنطق هل أنه محض أداة للتحقيق والبحث العلمي، أو أنه يصح اعتباره فرعاً حقيقياً من فروع الفلسفة؟ وهو نقاش عمد أنصار كلٍّ من طرفيه إلى تدعيم مبناهم بادّعاء الاستناد إلى آراء أرسطو. وقد امتد نطاق هذا النقاش إلى عالم الإسلام مع دخول علم المنطق وحيّز الفلاسفات التخصصية إليه، وكان لكلٍّ من جهاته أنصاره فيه.

وبمعزل عن الوجهة التي قد يتبناها المرء إثر تناوله هذه المسألة – وظهرها أنّ الفلاسفة أيّدوا دراسة المنطق كحجبة تكاملية في الربط بين كل من عالم الذهن والأفكار (الوجود الذهني) وعالم اللغة والواقعية الخارجية (الوجود اللفظي والخارجي الواقعي) متأثرين إذ ذاك بمقاربة فورفوريوس في الإيساغوجي *Isagoge* التي ربط فيها بين طروحات أرسطو في الأورغانون *Organon* وطروحاته في كتاب *ما بعد الطبيعة Metaphysics*، عبر تقسيم نظرية حول كيفية ارتباط كل من الألفاظ والمفاهيم والموجودات الخارجية ببعضها – نقول: بمعزل عن ذلك كله، فطالما أن متكلمًا كالغزالي قد عمد إلى تطبيع دراسة المنطق – خلال أعمال له كـ *معيّار العلم* – بكونها أداة معيارية في دراسة الفقه الاستدلالي، فقد ظل علم المنطق ملمحًا أساسيًا في مناهج الدراسات الدينية.

وحتى في أيامنا هذه، فإن الحوزات الشيعية التقليدية في إيران والعراق عبر منهجها الجامع بين العلوم النقلية والعقلية، كما والسنية القائمة على منهج "الدرس النظامي" الذي تأسس في القرن الثامن عشر [الميلادي] شمالي الهند<sup>2</sup>، لم تزل تقدّم لطلابها درس المنطق، بل وفي الواقع تميّزه عن غيره بكونه ذروة المواد العقلية.

<sup>1</sup> ترجمة لمقالة بعنوان *Continuity of the Logical Tradition*، وهي عبارة عن قراءة في كتاب خالد الرويغب *Relational*

*Syllogisms and the History of Arabic Logic, 900-1900*

<sup>2</sup> على يد الشيخ نظام الدين السهالوي، وإليه ينسب مصطلح "النظامي". المترجم.

وبناءً على ذلك، فإن الجدير اعتبار كتاب خالد الرويحب القياس الاقتراحي وتاريخ المنطق العربي [900-1900م] *Relational Syllogisms and the History of Arabic Logic, 900-1900* - الذي هو ثمرة منحة دراسات ما بعد الدكتوراه الممولة من الأكاديمية البريطانية في جامعة كامبرج - من ضمن مندرجات التاريخ الفكري لدراسة الفلسفة في العالم الإسلامي.

ففي حين يعتبر الكتاب دراسةً محدّدةً لمسألة الاستدلال الاقتراحي (السمة الأساس في القياس الأرسطي)، فهو يشكّل أيضًا إسهامًا في فاعليّة التحقيق الفكري المتواصلة ما بعد العهد القروسطي الذهبي، ويساهم واقعًا في دواميّة النهج الجديد لدراسة الفلسفة الإسلامية، الذي ينمّ عن عصر فكريّ ذهبيّ حقيقيّ ظهر في بدايات الحقبة المعاصرة، وبالتحديد - هنا - مع المناطق العثمانيّين والمغول الذين جسّدوا هذا العصر. فيشكّل، بالتالي، مواجهةً لفهم سائد حول الانحدار الفكريّ نجده غالبًا في الدراسات التي تناولت التاريخ الفكري للعثمانيّين.

وكدراسة لتاريخ المنطق في العالم الإسلاميّ، فالكتاب بيتني على أعمال نيكولاس ريشير Nicholas Rescher (صاحب الطرح الشهير بأنّ شيئًا من منطق ما بعد القرن الرابع عشر [الميلاديّ] لا يمكن الاعتداد به، وهي فكرة عمل الرويحب على ضحدها) السابقة ويسط لها، ومن بعدها أعمال توني ستريت Tony Street، اللذين لم يعطيا أيّ اعتبار حقيقيّ لتقاليد الحقبة الحديثة، أو حقبة ما بعد القرن الثالث عشر [الميلاديّ].

من اللوازم الهامة لطرح الرويحب تأييده رؤية روبرت ويزنوفسكي Robert Wisnovsky حول الطبيعة الحيويّة لثقافة الحواشي في الإسلام، الموضوع الذي يُصنّف الآن كمورد اهتمام لمؤسسة أندرو ميلون The Andrew Mellon Foundation التي تبنته كمشروع بحثي تحت إشراف جون مكغينيس Jon McGinnis وأسد أحمد Asad Ahmed في جامعة سان لويس. وتلازم طرح الرويحب لازمة أخرى هي رفضه الاعتبار السائد بأنّ التحقيق الفلسفيّ قد بلغ نهاياته في الحوزات السنيّة مع ابن رشد، في حين استمرّ في الحوزات الشيعيّة حتّى يومنا هذا، حيث قدّم عددًا وافرًا من الأدلّة على حيويّة الجهود المنطقية في الحوزات السنيّة في عصور متأخرة، وستظهر دراسات حول "المدرسة" الهندية أنّ الإبداع في مجاليّ الإلهيات والفلسفة الطبيعيّة فيها استمرّ حتّى حقبة الاستعمار.

ينقسم الكتاب إلى فصول سبعة وخلاصة، مضافًا إلى ملحق مفيد يجدر المسائل الهامة المطروحة في الكتاب، ويحوي ثبناً بالمصطلحات المنطقية الواردة في الكتاب - وهو على درجة من الأهميّة بلحاظ غياب أيّ إجماع على التقديم الأصح لمفردات هذا العلم الأداتيّة، وهو مفيد أيضًا لكلّ مهتمّ بالدراسات المتأفريقيّة والكلامية الفلسفية التي تستعمل، وبنطاق واسع، المصطلحات نفسها. تتسلسل فصول الكتاب بحسب التسلسل الزمنيّ، يتناول الفصل الأوّل الحقبة الأولى الممتدّة من عهد الفارابي إلى عهد السهروردي، مع تركيز خاصّ على ابن سينا، لكونه من بين المناطق الوحيد الذي عالج الشذوذ التقليدي في قياس المساواة (إذا كان "أ" يساوي

"ب"، و"ب" يساوي "ج"، ف"أ" يساوي "ج"، كما ونجد أن التقاليد الفلسفية في كثير من المجالات الأخرى هي استجابات للإسهامات المحورية التي قدّمها الرجل. ثمّ يتناول الفصل الثاني التقدّم في عهد فخر الدين الرازي والخونجي، الذي حقّق الرويحي كتابه **كشف الأسرار** ونشره مؤخراً في طهران. ثمّ نعرّج في الفصل الثالث على ثقافة الحواشي في كل من شمال أفريقيا وبلاد الشرق، التي مهّدت للحقبة المغوليّة الصفويّة، وقدّمت المتون التعليمية الأساسيّة لـ"المدرسة". ويتناول الفصل الرابع معاً كلاً من التقليد العربيّ-المسحيّ والتقليد الهنديّ كما والإيرانيّ، حتى بدايات القرن العشرين. الفصلان الخامس والسادس ينتقلان إلى سياقات الفكر العثمانيّ، ويركّز في الفصل السادس على غيلينبيفي Gelenbevi وعلى منطق الأقيسة غير المألوفة. ثمّ يدرس فصل الكتاب الأخير ما إذا كان التقليد المنطقيّ العثمانيّ قد انحدر. وكما ترى، فالكتاب بأغلبه مأخوذ بتطور الفكر العثمانيّ، ولعلّ عمل أسد أحمد القادّم حول علم المنطق في الهند سيّسكّل تتمةً جيّدةً لهذه الدراسة. وإنّ المؤلف يجازف في جانب من تركيزه على الحقبة العثمانية لأنه يفترض أن معالجة قياس المساواة في التقليد العثمانيّ هي أكثر إثماً منها في التقاليد الهندية أو الإيرانية. إلا أنه يبقى جهد كبير يجب بذله حول المنطق في إيران والهند بعد القرن الرابع عشر [الميلادي] كما ذكر الرويحي نفسه، إذ لم ينتج حول هذه الحقبة أيّ دراسة جدّية ما خلا عمل أحد قراملكي حول شبهة الجذر الأصمّ، الذي ركّز فيه على إسهامات الفلاسفة الشيرازيين بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر [الميلاديين].

يقدم كتاب الرويحي إسهاماً جيّداً لتاريخ الإسلام الفكريّ، ولفهمنا واقع مسار الفلسفة الإسلاميّة، وللنقاش حول انحدر الفكر العثمانيّ. هو يشرح حالةً محدّدة، إلّا أنّ للقارئ أن ينتقي جوانب أخرى منه، كمنطق الجهات مثلاً، أو بعض مبادئ المتافيزيقيا، أو حتّى معالجات حول الحركة والزمن، ويدرسها في سياقاتها التاريخية ليظهر أن الأسطورة القديمة حول عدم محورية دور التحقيق الفلسفيّ في الفكر الإسلاميّ لا بد لها من حدّ.